

## المسؤولية الناجمة عن اللقاحات



**الدكتور بول مرقص**  
رئيس «جوستيسيا» وأستاذ محاضر  
في الجامعات ومعهد الحمّامة  
عضو لجنة المراجعة الطبية  
في وزارة الصحة العامة (٢٠١٦)

الطفل. فعلى عاتق من تقع المسؤولية المدنية؟ سوف نتطرق بدايةً الى المسؤولية عن الضرر الناج عن عدم إعطاء اللقاح للطفل أو عن عدم اعطائه اللقاح في موعده. لندرس في مرحلة ثانية المسؤولية عن اللقاحات الفاسدة والأضرار التي تتسبب بها لصحة الأطفال من أمراض وعاهات دائمة وصولاً الى الوفاة. وغني عن الإشارة إلى أنه لا يمكن أن يفهم حديثنا عن مبادئ المسؤولية أو التقصير أو الخطأ الطبي. على أنه إشارة سلبية إلى فئة معيّنة من المهنيين عموماً أو الأطباء تحديداً الذين أكنّ لرسالتهم كل التقدير.

### المسؤولية عن عدم التلقيح

نصت المادة ١٢٢ من قانون الموجبات والعقود على المبدأ العام للمسؤولية التقصيرية. فبحسب القانون اللبناني. كل عمل يأتيه أحد الناس وينجم عنه ضرر غير مشروع بمصلحة يجبر فاعله اذا كان مميّزاً على التعويض. كما أضافت المادة ١٢٣ من القانون عينه. أن الشخص يسأل عن الضرر الناج عن اهماله أو عدم تبصره كما يسأل عن الضرر الناج عن فعله.

للاهمال وعدم التبصر أوجه عدة منها اهمال اجراء اللقاح بالمطلق أو عدم اجرائه بموعده.

ان عدم اعطاء أية أهمية للقاحات الزامية على الولد تلقيها في سنّ معين فتحميه من أمراض خطيرة قد تصيبه. تؤدي الى القاء اللوم على المسؤولين عن صحته.

وبطبيعة الحال. وكون الولد غير مميّز عموماً وغير قادر على اتخاذ قرارات متعلقة بصحته. فيلقى على الأهل أو أولياء الأمر عاتق الاهتمام به.

والواجبات تجاه الطفل لا تقتصر على الحاجات اليومية كالطعام والاستحمام واللباس والعناية اليومية على أنواعها والتي غالباً ما تنشأ لدى الأهل فور ولادة أطفالهم. انما تمتد الى واجبات أساسية أخرى في طبيعتها رعاية صحة أولادهم.

من الممكن أن تساعد غريزة الأمومة الوالدة على اهتمامات يومية عادية. ولكن. لناحية صحة الطفل. يجب عليها استشارة أشخاص

من ذوي الخبرة وفي طبيعتهم الأطباء. ففي هذه الحالة يجب استشارة طبيب اذ تكمن رسالة الأطباء الرئيسية بحسب قانون الآداب الطبية في المحافظة على صحة الانسان الجسدية والنفسية وقائياً وعلاجياً. الأمر الذي يضع على عاتق الطبيب مسؤولية متابعة المريض ومعالجته وتوعيته على واجباته ومسؤولياته تجاه نفسه وصحته.

ولكن في حالة الأطفال وكونهم غير مميزين في المطلق. فيتكفل الأهل وأولياء الأمر بمتابعة كل ما يتعلق بصحتهم.

وعند اللجوء الى خبرة الطبيب ومعاينته الطفل لأول مرة. يقوم هذا الأخير عادةً بمسك دفتر طبي للطفل يبقى مع أوليائه ويدون عليه كافة اللقاحات الالزامية والأخرى الموصى بها مع المواعيد الواجب اجراءها فيها. كما على الطبيب أن يشرح للأهل الفرق بين اللقاح الالزامي واللقاح الاختياري مع حفظ حق الأهل في اتخاذ القرار في ما يتعلق باللقاحات الموصى بها. وهنا جدر الإشارة الى أن فاعلية اللقاحات تختلف مع اختلاف عمر الطفل. بمعنى آخر. ان اجراء لقاح الشلل لولد قد بلغ الـ١٥ من عمره يفقد فاعليته. اذ يعطى اللقاح مثلاً في الشهر الثاني. والشهر الرابع. والشهر السادس والشهر الثامن عشر من حياة الانسان.

### دور وزارة الصحة العامة

يتضمن الموقع الرسمي لوزارة الصحة العامة نموذجاً عن الدفتر الواجب مسكه لكل طفل.

وبذلك يبقى على عاتق الأهل مسؤولية الالتزام بهذه المواعيد لتفادي حصول أي ضرر ناج عن اهمالهم لواجباتهم.

ان اللقاحات الالزامية تذكر في تعاميم تنشرها وزارة الصحة العامة. فبشكل عام. أبرز اللقاحات الالزامية في لبنان هي اللقاح الثلاثي الذي يتضمن ثلاثة أنواع من اللقاحات: الدفتيريا<sup>١</sup>. الكزاز<sup>٢</sup> والسعال الديكي<sup>٣</sup>. ولقاح الحصبة. والنكاف. وشلل الأطفال. الكبد الوبائي. والسل<sup>٤</sup>.

هذا وحرص وزارة الصحة العامة على اضطلاع الأطباء بمسؤولية حصول الأطفال على لقاحاتهم على اعتبار أن الحث على اللقاح يدخل ضمن واجبات الطبيب تجاه الأشخاص. كما وعممت على موقعها الرسمي أنها «تطلب من المواطنين عدم الإنصياح لإبتزاز بعض الأشخاص غير المهنيين

الذين يشككون بمصادر ونوعية اللقاحات التي تؤمنها الوزارة علماً أن هذه اللقاحات يتم شراؤها من خلال منظمة اليونيسف وبمواصفات منظمة الصحة العالمية وتخضع لسلسلة تبريد نموذجية<sup>٥</sup>».

في الحالات العامة. غالباً ما نسمع باللقاح الالزامي للأطفال. الا أنه يوجد. في حالات معينة. لقاحات ملزمة لأشخاص راشدين وتكون الزاميتها ناجمة عن تواجد الراشدين في أماكن معينة أو تعرضهم لظروف معينة. فمندوبي وزارة الصحة العامة في لبنان المتواجدين في مطار بيروت الدولي يقومون بفرض لقاحات معينة على المسافرين من لبنان الى وجهات معروفة بتفشّي أوبئة معينة فيها. فمن الالزامي اجراء لقاح الحمة الصفراء للمسافرين الى البلدان الأفريقية. واجراء لقاح التهاب السحايا للمسافرين للحج أو العمرة في المملكة العربية السعودية.

### المسؤولية عن المضاعفات الناجمة عن اللقاحات

يتناول الجزء الثاني الحاضر من هذه الدراسة المسؤولية عن المضاعفات الناجمة عن اللقاحات. فبالرغم من الزامية اللقاح. يتردد بعض الأهل في اعطائه لأولادهم خشية المضاعفات التي قد تنتج عن ذلك.

وبالعودة الى ماهية اللقاح. فهو ادخال جزء من فيروس المرض الى جسم الانسان فتتحرك المضادات الحيوية لتتعرف عليه وترسي مناعة ضده بحيث يصبح جسم الانسان معتاداً على الفيروس فلا يعود له تأثير عليه. وبالرغم من فاعلية اللقاح في الحماية من أمراض عدة. للمضاعفات الناجمة عنه نتائج خطيرة على حياة الأشخاص.

وتنقسم المسؤولية عن النتائج الضارة على نوعين:

فاذا كان الضرر ناجماً عن علة في اللقاح أو خطأ في تركيبته. يمكن ملاحقة الشركة المصنعة للدواء بشكل أساسي كما يمكن ملاحقة وزارة الصحة العامة التي أعطت الرخصة للشركة لتوزيع الأدوية في لبنان ظلماً لم تسهر على التأكد من فاعلية اللقاح وسلامته.

أما في حال نتجت المضاعفات عن خطأ في طريقة وضع اللقاح أو موعده أو في عدم ملاءمة اللقاح لحالة الشخص الجسدية فهنا يمكن درس ملاحقة الطبيب لأنه مسؤول عن أعماله المهنية<sup>٦</sup>. فعلى الطبيب. قبل اجراء أي لقاح للشخص. مراجعة ملفه الطبي والتأكد من عدم وجود أي مانع لاجراء اللقاح ومن ان اللقاح لن يؤدي الى عوارض تؤثر على صحة الشخص.

٤- الموقع الرسمي لوزارة الصحة العامة.

٥- أو الخانوق: لتهاب اللوزتين مع ظهور أغشية كاذبة (الموقع الرسمي لوزارة الصحة العامة)

٦- Tetanus تشنج عضلات الفك (العضلة الماضغة). تشنجات العنق / الجذع. والتشنج الظهري (الموقع الرسمي لوزارة الصحة العامة)

٧- Pertussis انقطاع النفس (apnea) خاصة لدون السنة من العمر. اعتلال الدماغ. انفطار (hernia). الوفاة (الموقع الرسمي لوزارة الصحة العامة)

٨- Hawaalive.com - "ما هي اضرار و مخاطر اهمال لقاحات و تطعيمات الطفل".

٩- الموقع الرسمي لوزارة الصحة العامة.

١٠- المادة ١٨ من قانون الآداب الطبية.

١- http://www.francetvinfo.fr/

٢- http://www.lemonde.fr/

٣- المادة ٢ من قانون الآداب الطبية اللبناني: "رسالة الطبيب تتمثل في المحافظة على صحة الإنسان الجسدية والنفسية وقائياً وعلاجياً. واعادة تأهيله والتخفيف من آلامه ورفع المستوى الصحي العام".



وكذلك تقوم الادارة الفرنسية بتفقد مواقع تصنيع اللقاحات عن قرب والتأكد من أنها تحترم قوانين الممارسة الصحيحة للصناعة<sup>١٥</sup>. في هذا السياق، قامت ادارة الأغذية والأدوية الأميركية بإجراء فحوص مخبرية على حقن الهيبارين تبين جرأتها وجود صلة بين وفاة ٢٤٦ شخصاً تلقوا هذه الحقنة، مما دفع الادارة الى سحب اللقاح من السوق<sup>١٦</sup>.

فبهذه السياسة الوقائية المحكمة تستطيع الولايات المتحدة التأكد عن كثب من عدم وجود أية عاهات في اللقاحات. وزيادةً على ذلك، وكما ذكرنا سابقاً، أقدمت الولايات المتحدة الأميركية على إنشاء هيئة وطنية للتعويض عن أضرار اللقاحات تقوم بدفع تعويضات الى المتضررين من اللقاحات<sup>١٧</sup>.

إن إنشاء مثل هذه الهيئة ضروري لضمان حقوق المواطن ولتحمل دولته مسؤولية تجاهه لناحية ضبط حدوث ضرر ناجح عن إهمال وتقصير في التأكد من صحة اللقاحات.

أموره اليومية اذا تأكلها الفساد وأحاطتها المشكلات، الا أنه يبقى حريصاً أشد الحرص على صحته وصحة عائلته. لذلك يجب توعية المواطن على حقوقه في حال تعرضه لأي ضرر ناجح عن اللقاحات الفاسدة خصوصاً وأنه غالباً ما لا يربط الأهل مرض أولادهم باللقاحات التي تلقوها. من هنا يكمن دور وزارة الصحة العامة في اجراء تحاليل دائمة لجميع اللقاحات التي تدخل البلاد وتصبح بمتناول الأطباء، كذلك عليها القيام بحملات توعية تشرح فيها للمواطنين أهمية اجراء اللقاح بوعده وبالطبع تأمين لقاحات مجانية للأطفال، فلا يبقى طفل دون لقاح الزامي بسبب ضيق مالي.

في أيامنا هذه، تتبع الولايات المتحدة الأميركية النظام الأفضل والأكثر فاعلية لناحية التأكد من صحة اللقاحات. فبداية لا يمكن استعمال أي لقاح في الولايات المتحدة الا بعد الحصول على اذن وموافقة ادارة الأغذية والأدوية الأميركية<sup>١٨</sup>. فالادارة تعتمد الى التأكد من سلامة اللقاح، نقائه، قوته وفاعليته عبر اخضاعه لفحوص يشرف عليها أطباء وعلماء.

<sup>١٥</sup> - http://www.fda.gov-Ensuring The Safety of Vaccines in the United States- July 2011  
<sup>١٦</sup> - http://www.healthimpactnews.com: If Your Child is injured by a Vaccine Who is Responsible?  
<sup>١٧</sup> - http://product-liability.lawyers.com :Are Drug Companies Liable for Effects of Vaccines?/

مارسته الطب<sup>١٩</sup>.

في كانون الأول من العام ٢٠١٢، صدر قرار عن المحكمة الفيدرالية الأميركية الناظرة في قضايا اللقاحات اعتبرت المحكمة بموجبه وجود صلة بين مرض التوحد واللقاح الثلاثي<sup>٢٠</sup>. فبذلك تقوم الهيئة الوطنية للتعويض عن أضرار اللقاحات<sup>٢١</sup> بالتعويض على ما يزيد عن ١١٧ ضحية أدت اللقاحات الى اصابتها بأمراض دائمة حتى الوفاة<sup>٢٢</sup>. ففي السياق عينه، قامت شركة تصنيع أدوية بوضع لقاحات في متناول الأطباء نتجت عنها أضرار دائمة طالت الأطفال وتمثلت بمرض النوم المفاجئ<sup>٢٣</sup>، وبالاصابة بمرض فقدان الوعي الناجح عن الانفعال (cataplexy). وجراء ذلك تم دفع أموال طائلة كتعويض لهؤلاء الأطفال من شركة تصنيع الأدوية<sup>٢٤</sup>.

في العام ٢٠١٠، صدر قرار عن المحكمة العليا للولايات المتحدة بتيح للأهل إمكانية ملاحقة شركات تصنيع الأدوية عن مسؤوليتها عن الضرر اللاحق بأطفالهم بسبب تلقيهم لقاحات فاسدة أو تسببت بآثار جانبية على الطفل<sup>٢٥</sup>.

لكن غالباً ما لا يحصل المتضرر على تعويضه من شركات تصنيع الأدوية وذلك لصعوبة ملاحقة عمالقة التصنيع. أصحاب نفوذ عال في الاقتصاد العالمي ورأس مال ضخم، فمعظم هذه الشركات تلجأ الى اجراء اتفاقيات مع الدول المتعاملة معها والتي توزع أدويتها لديها. فهذا ما حصل في المملكة المتحدة حيث لم يستطع المتضررون من اللقاحات الفاسدة المطالبة بتعويضات بسبب وجود عقد موقع بين الدولة والشركة المصنعة يمنع أي ملاحقة بحقها<sup>٢٦</sup>.

إلا أن هذه الاتفاقيات لا يمكن لها، في نظام قانوني مشابه لنظامنا، أن تقي الشركة من مسؤولياتها خصوصاً وأن هذه الاتفاقيات تعتبر تعسفية وتالياً ملغاة أي وكان لا وجود لها.

## خلاصة

يبقى النظام القانوني اللبناني قاصراً وحده عن حماية للمواطن خصوصاً في شؤونه الصحية، فإذا كان بالإمكان للمواطن أن يغض الطرف عن

فالقانون المدني الفرنسي مَيِّز بين الطبيب الذي يقوم باللقاح على نحو اعتيادي والآخر الذي يتطوع لاجراء لقاحات معينة بناءً على طلب من الدولة الفرنسية جراء حملة تقوم بها. ففي الحالة الأولى، واذا أدى اللقاح الى أضرار، يخضع الطبيب لقواعد القانون العام، وبذلك ان الأضرار الناجحة عن عمله تخضع لعقود الضمان الخاصة والتي بموجبها تقوم شركات الضمان بالتعويض على المتضررين بموجب مسؤولية الطبيب المدنية عن أعماله المهنية. مع الإشارة الى أن الضمانات الزامية لكل الأطباء وتغطي الأخطاء الناجحة عن أعمالهم الوقائية والعلاجية<sup>٢٧</sup>.

أما في الحالة الثانية، أي عندما يقوم الطبيب بمشاركة تطوعية في الحملات التي تنظمها الدولة بهدف الحد من انتشار الأوبئة كاللقاح ضد انفلونزا الخنازير (H1N1) مثلاً، فالطبيب المتطوع يستفيد دائماً من الضمان على مسؤوليته المدنية المهنية، ولشركة الضمان الرجوع على الدولة في حال تفاقم الأضرار<sup>٢٨</sup>.

ولكن في كلتا الحالتين ان الطبيب يقوم بعمله ورسالته التي بموجبها يحاول قدر المستطاع تجنب الأشخاص من الاصابة بأمراض، فداًئماً ما يحرص على حصول الأطفال للقاحاتهم الزامية وهي التي في حال لم يخضع لها الطفل يتعرّض الى أخطار وأمراض دائمة لا حلول لها متى أصابته.

من ناحية أخرى، فإذا كان أغلبية الأطباء مقتنعين بفاعلية وأهمية اللقاحات، أظهرت احصاءات قامت بها الجمعية الفرنسية للطب العام<sup>٢٩</sup> في أواخر أيلول ٢٠١٦، أن طبيباً على ١٠ أطباء يبدي تحفظه على بعض اللقاحات<sup>٣٠</sup>.

لذلك يأخذ العديد من الأطباء على عاتقهم فحص اللقاحات وتحليل آثارها الجانبية على صحة متلقيها. ففي عام ١٩٩٦، قام الطبيب البريطاني أندرو واكفيلد بدراسات استنتج في ضوءها وجود رابط بين مرض أمعاني ومرض التوحد من جهة، ولقاح الحصبة والنكاف والحصبة الألمانية<sup>٣١</sup>. جراء هذا الاستنتاج تعرض الطبيب البريطاني الى حملة هجومية من الحكومات، لاعلام والشركات المصنعة للأدوية أدت الى خسارته رخصة

١١- www.Droit-medical.com- Responsabilité du médecin qui vaccine contre la grippe A(H1N1) - le 9/9/2009

١٢- www.Droit-medical.com- Responsabilité du médecin qui vaccine contre la grippe A(H1N1) - le 9/9/2009

١٣- Société française de médecine générale (SFMG)

١٤- Vaccins: un médecin généraliste sur dix a des réticences, François Béguin, Le Monde, 29/09/2016

١٥- ROR: rougeole, oreillons, rubéole

١٦- Les vaccins: cause probable de l'authisme- 20 janvier 2016 www.santepiusmag.com

١٧- الحصبة والنكاف والحصبة الألمانية.

١٨- National Vaccine Injury Compensation Program (VICP)

١٩- Initiativescitoyenne.be- Les Etats-Unis indemnisent 117 victimes de vaccins de plus en 3 mois-15/3/15

٢٠- Narcolepsy يصيب الجهاز العصبي ويرافق المريض مدى الحياة (http://www.alriyadh.com)

٢١- أضرار اللقاحات وتعويضات لأطفال أوروبيين - http://novax.org

٢٢- http://product-liability.lawyers.com Are Drug Companies Liable for Effects of Vaccines

٢٣- أضرار اللقاحات وتعويضات لأطفال أوروبيين - http://novax.org

٢٤- The U.S. Food and Drug Administration FDA